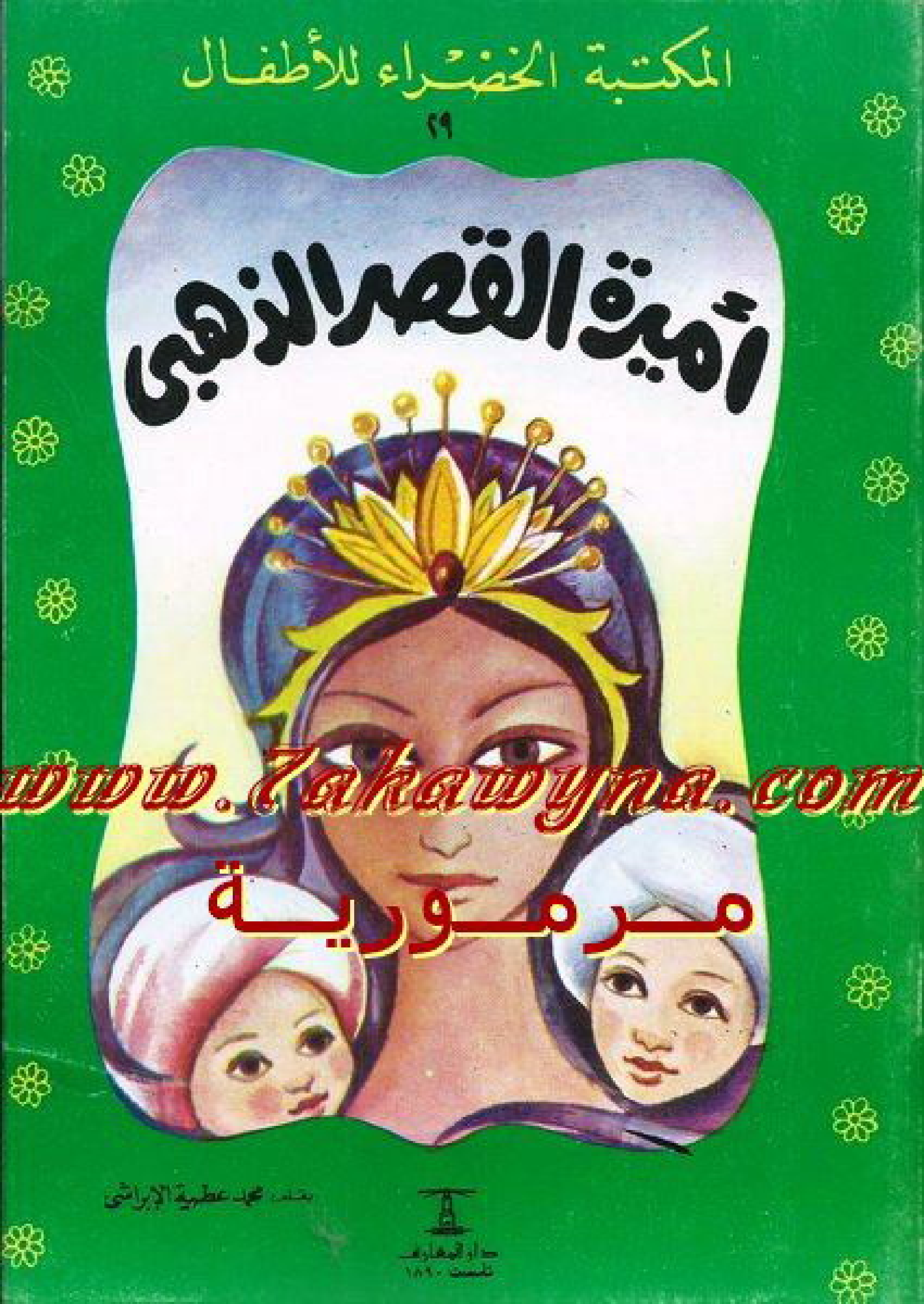

المكتبة الخضراء للأطفال
٢٩
أميرة القصر الذهبى
بقلم: محمد عطية الإبراشى
دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

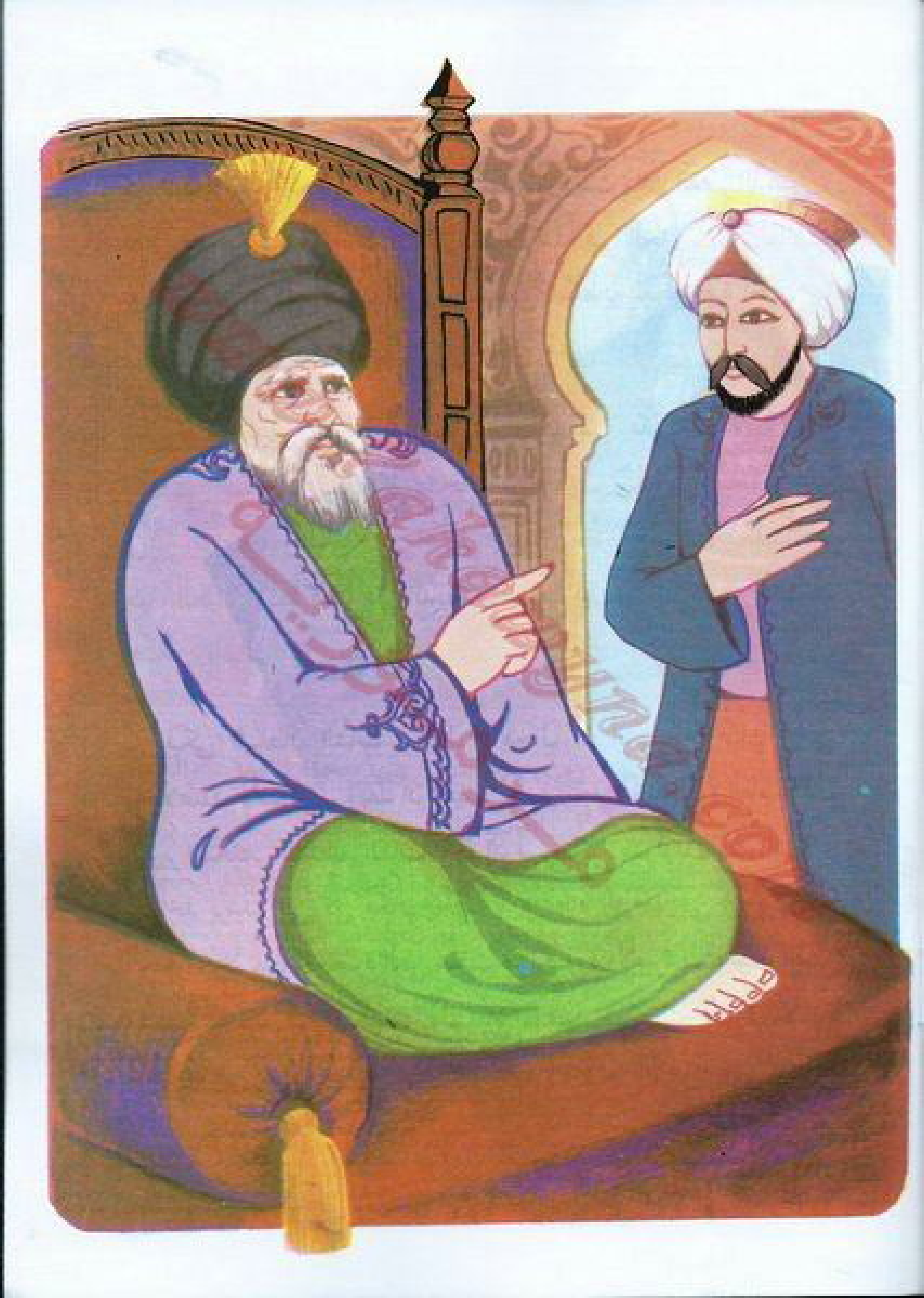


ذَاتَ يَوْمٍ مَرِضَ السُّلْطَانُ ، وَحِينَمَا أَحَسَّ أَنَّ نِهَايَتَهُ قَدْ قَرُبَتْ ، طَلَبَ حُضُورَ أَحَدِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ رِجَالِهِ وَالْمُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ مِنْ وُزَرَائِهِ ، وَكَانَ يُسَمَّى يَحْيَى ، وَكَانَ يَحْيَى هَذَا وَزِيراً مُخْلِصاً لِلسُّلْطَانِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَ الْوَزِيرَ الأَمِينَ ، لأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً لِسَيِّدِهِ طُولَ حَيَاتِهِ . وَحِينَمَا حَضَرَ إِلَى السُّلْطَانِ فِي حُجْرَةِ فِرَاشِهِ قَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : يَا يَحْيَى ، أَنْتَ وَزِيرِي الَّذِي لاَ أَشُكُّ

مطلقاً في إخلاصه . وليس عندي الآن شيء أفكر فيه غير ابني . وهو لا يزال فتى صغيراً . ومثله في أشد الحاجة إلى من يساعده في تدبير الحكم . ويرشده إلى الطريق المستقيم . حتى تحبه رعيته وتطيعه . وليس لي من بين وزرائي صديق أثق به كل الثقة غيرك . وأملي كبير في أن تحقق حسن ظني فيك . وذلك بأن تعلمه كل ما يحتاج إليه من علم وتدبير . لكي يكون سلطاناً عادلاً . وترشده بحسن رأيك إلى ما ينبغي أن يفعل . وما ينبغي أن يترك . وأن تكون كأب له . تنصحه وترشده إلى الطريق المستقيم . الذي يجعله محبوباً عند الشعب يعمل له . ويفكر في مصالحه . ولا يفكر في نفسه . وإذا تعهدت بكل هذا أمكنني أن أترك هذه الحياة الفانية هادئ البال . راضياً عنك كل الرضا .

فقال الوزير المخلص : مولاي (سيدي) : إني خادمك المخلص . وسأخدم ابنك بكل إخلاص . وسأكون نعم الناصح والمرشد له . وسأضحي بنفسي في سبيله عند الضرورة . وأرجو يا مولاي أن تكون مطمئناً كل الاطمئنان .

فقال له السلطان : أيها الوزير الأمين . إنني الآن سأموت هادئاً مطمئن البال . وبعد موتي أرجو أن تعرف ابني بما في القصر كله ، وتريه



كُلَّ الحُجَرِ ، إلاَّ الْحُجْرَةَ الَّتِى عُلِّقَتْ فِيهَا صُورَةُ بِنْتِ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِىِّ ؛ فَقَدْ يَتَعَلَّقُ بِحُبِّهَا ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَباً فِى إلْحَاقِ الأَذَى وَالضَّرَرِ بِهِ ، وَضَيَاعِ مُلْكِهِ . فَتَعَهَّدَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ لِلسُّلْطَانِ الْعَجُوزِ مَرَّةً أُخْرَى بِمَا يُرِيدُ ، ثُمَّ مَاتَ هَادِئاً مُطْمَئِنًّا عَلَى مُلْكِهِ وَعَلَى ابْنِهِ .

وَحِينَمَا انْتَهَى الاِحْتِفَالُ بِدَفْنِ السُّلْطَانِ فِى مَقْبَرَتِهِ ، قَالَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ لِلسُّلْطَانِ الشَّابِّ كُلَّ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنِّى سَأَفِى بِوَعْدِى حَقًّا ، وَسَأَكُونُ مُخْلِصاً لَكَ طُولَ الْحَيَاةِ ، كَمَا كُنْتُ عَلَى الدَّوَامِ مُخْلِصاً لِأَبِيكَ . وَإِنْ كَلَّفَنِى ذَلِكَ أَنْ أُضَحِّىَ بِحَيَاتِى فِى سَبِيلِكَ .

فَبَكَى السُّلْطَانُ الشَّابُّ ، وَقَالَ : مُحَالٌ أَنْ أَنْسَى إِخْلاَصَكَ لِأَبِى وَإِخْلاَصَكَ لِأُسْرَتِى . وَبَعْدَ أَنِ انْقَضَتْ مُدَّةُ الْحِدَادِ (الْحُزْنِ) الْعَامِّ ، قَالَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ لِلسُّلْطَانِ الشَّابِّ أَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لِى بِأَنْ أُرِيَكَ قَصْرَ أَبِيكَ ، ثُمَّ أَخَذَ يُرْشِدُهُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ يَخُصُّهُ ، وَأَعْطَاهُ الْفُرْصَةَ فِى أَنْ يَرَى كُلَّ الْحُجَرِ ، إلاَّ تِلْكَ الْحُجْرَةَ الَّتِى عُلِّقَتْ فِيهَا صُورَةُ الأَمِيرَةِ بِنْتِ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِىِّ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْهَا ، وَلَمْ يُرِهِ مَا فِيهَا . وَكَانَتْ صُورَةُ الأَمِيرَةِ مَوْضُوعَةً فِى تِلْكَ الْحُجْرَةِ ، بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَاهَا الدَّاخِلُ ، فِى اللَّحْظَةِ



الَّتِى يُفْتَحُ فِيهَا الْبَابُ ، وَهِىَ صُورَةٌ تَتَمَثَّلُ فِيهَا الْحَيَاةُ الْقَوِيَّةُ ، وَالْجَمَالُ الْفَائِقُ الَّذِى لاَ مَثِيلَ لَهُ فِى الْعَالَمِ كُلِّهِ .

وَقَدْ تَنَبَّهَ السُّلْطَانُ الشَّابُّ إِلَى أَنَّ وَزِيرَهُ الأَمِينَ لَمْ يَفْتَحْ هٰذِهِ الْحُجْرَةَ ، وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُ بِرُؤْيَةِ مَافِيهَا ، فَسَأَلَهُ السُّلْطَانُ الشَّابُّ فِى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ

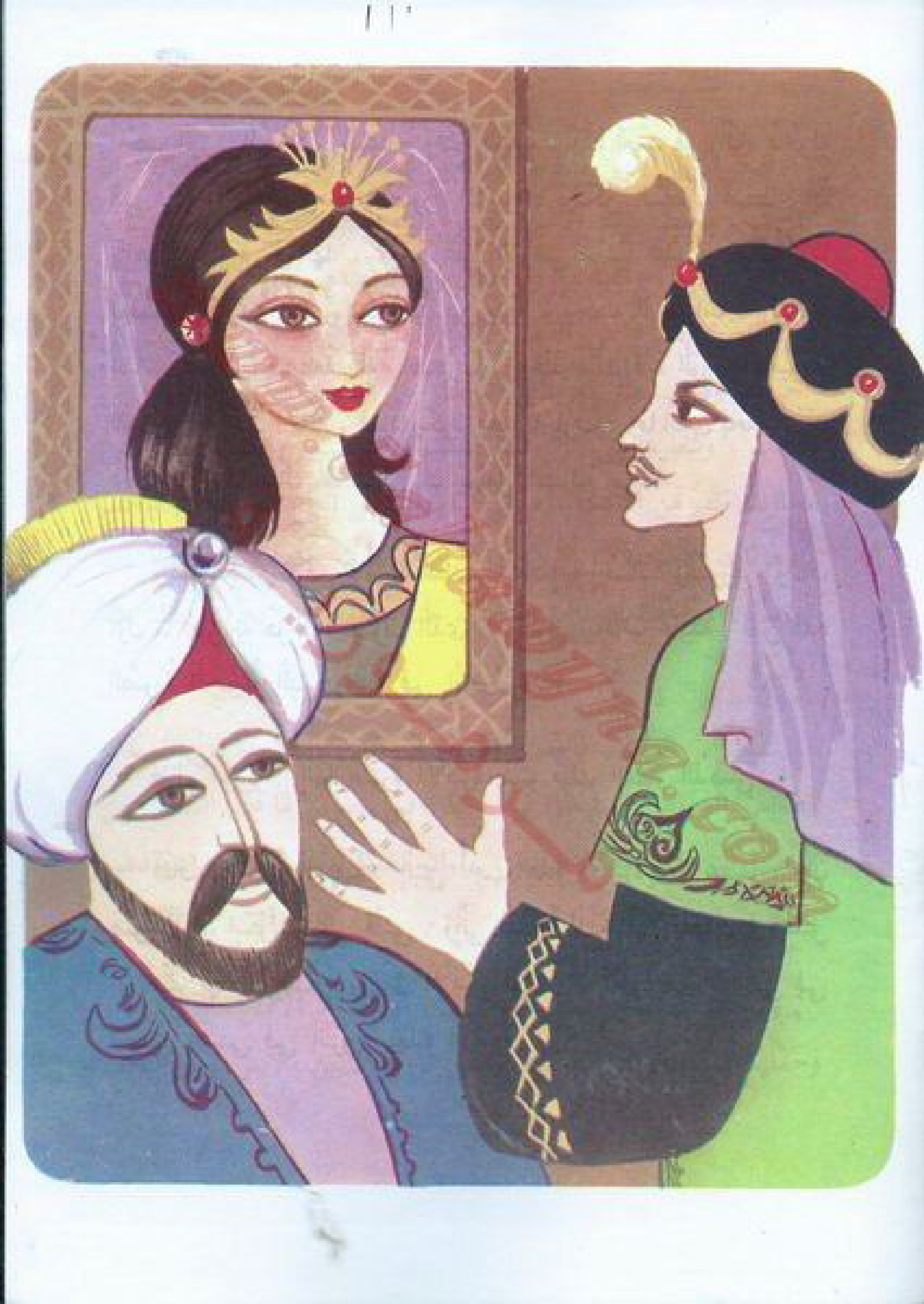
لَقَدْ أَطْلَعْتَنِى عَلَى كُلِّ حُجَرِ الْقَصْرِ وَمَا فِيهَا إِلاَّ حُجْرَةً وَاحِدَةً لَمْ تُرِدْ أَنْ تَفْتَحَهَا ، فَهَلْ فِيهَا سِرٌّ تُحِبُّ أَلاَّ أَعْرِفَهُ ؟

فَقَالَ الْوَزِيرُ الأَمِينُ : يا مَوْلاَى ، إِنَّنِى أُنَفِّذُ وَصِيَّةَ أَبِيكَ ، فَفِى الْحُجرةِ سِرٌّ لَيسَ مِنْ مَصْلَحَتِكَ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ يَكُونُ فِى ذَلِكَ مَا يُؤَدِّى إِلَى ضَياعِ مُلْكِكَ .

فَقَالَ السُّلْطَانُ : لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَصْرَ كُلَّهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ هَذِهِ الْحُجْرَةُ ، وَأُحِبُّ أَنْ أَرَاهَا وَأَعْرِفَ مَا فِيهَا ، ثُمَّ انْدَفَعَ السُّلْطَانُ الشَّابُّ نَحْوَ الْحُجْرَةِ ، وَبَدَأَ يَدْفَعُ الْبَابَ بِقُوَّةٍ لِيَفْتَحَهُ وَعِنْدَئِذٍ وَقَفَ الْوَزِيرُ الأَمِينُ لِيَمْنَعَ السُّلْطَانَ بِرِفْقٍ ، وَيَرُدَّهُ عَنِ الْبَابِ ، وَيَقُولَ لَهُ : لَقَدْ وَعَدْتُ أَبَاكَ قَبْلَ مَوْتِهِ أَلاَّ أُرِيكَ هَذِهِ الْحُجْرَةَ وَمَا فِيهَا ؛ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَحْدُثَ لَكَ مَالاَ تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ ، وَأَرَى أَنْ تَحْتَرِمَ وَصِيَّةَ أَبِيكَ .

فَقَالَ السُّلْطَانُ الشَّابُّ : إِنَّ التَّعَبَ الَّذِى سَيَحْدُثُ لِى مِنْ وَرَاءِ عَدَمِ رُؤْيَةِ مَا فِى هَذِهِ الْحُجْرَةِ سَيَكُونُ شَدِيداً جِدًّا ، وَقَدْ يُؤَثِّرُ فِى صِحَّتِى كُلَّ التَّأْثِيرِ ، وَلَنْ يَهْدَأَ بَالِى ، فِى أَىِّ وَقْتٍ مِنَ اللَّيْلِ أَوِ النَّهَارِ ، حَتَّى أَرَى تِلْكَ الْحُجْرَةَ . لِذَلِكَ لَنْ أَذْهَبَ مِنْ هُنَا حَتَّى تَفْتَحَهَا وَتُرِيَنِى مَا فِيهَا .

رَأَى الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ أَمَامَ تَصْمِيمِ السُّلْطَانِ الشَّابِّ أَنَّهُ لاَبُدَّ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْحُجْرَةِ ، وَالْخُضُوعِ لِرَغْبَةِ السُّلْطَانِ ، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ، ثُمَّ



أحضرَ الوَزيرُ الْمُخلِصُ الْمِفتاحَ وَفتحَ الْبابَ ، وَقدْ تعمّدَ فِى أثْناءِ دُخولِهِ فِى أوّلِ الأمْرِ أنْ يَحْجُبَ صُورَةَ الأميرةِ ، وَلكِنَّ السُّلْطَانَ استَطَاعَ أنْ يَراهَا ، فَبهرهُ جمالُهَا ، وَوقعَ عَلى الأرْضِ مغْشيًا عليْـــه ، مأخُوذاً بجمالِهَا ، فَرفَعهُ الْوَزيرُ الْمُخْلِصُ بيْنَ يدَيْهِ ، وَحملَهُ إلَى فِراشِهِ . وَكَانَتْ أنفاسُ السُّلْطَانِ مُتقطِّعةً وَقلْبهُ يضْطَرِبُ ، وَعِنْدَ ذلِكَ قَالَ الْوَزيرُ الأمِينُ : لقَدْ وَقعَ ماكُنْتُ أخافُهُ ، فَماذا يكُونُ مَصِيرُنَا يارَبُّ . وَمَا الَّذِى يَحْدُثُ بَعْدَ ذلِكَ ؟ وَأخذَ يَسْألُ اللهَ تَعالَى أنْ يَجْعلَ النَّتائِجَ سَليمَةً .

وَبعْدَ مُدّةٍ مِنَ الزَّمنِ أفاقَ السُّلْطَانُ ، وَعادَ إليْهِ إحْساسُهُ وَشُعورُهُ ، وَكَانَ أوّلَ مَا نَطقَ بهِ هُوَ هذَا السُّؤالُ الّذِى كَانَ الْوَزيرُ يخَافُ عاقِبَتهُ : لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ الْجَميلَةُ الّتِى رَأيْتُهَا فِى الْحُجْرَةِ ؟

فَقالَ الْوَزيرُ : إنّهَا صُورَةُ الأميرَةِ بِنْتِ مَلِكِ الْقَصْرِ الذّهَبِىِّ .

فَقالَ السُّلْطَانُ الشّابُّ : إنّنِى أحِبُّ هذِهِ الأميرَةَ حُبًّا عَميقاً ، وَإنَّ صُورَتَهَا قَدِ استَوْلَتْ عَلى قَلْبِى . وَإنِّى مُستَعِدٌّ لِلْمُخاطَرَةِ بِحيَاتِى ف سَبِيلِ أنْ أظفَرَ بِهَا ، وَأنْتَ يَا وَزِيرِى الأمِينَ عَلَيْكَ أنْ تَكُونَ مُساعِداً لِى فِى تَحْقِيقِ رَغْبَتِى فِى التّزَوُّجِ بِهذِهِ الأمِيرَةِ .

فَفكَّرَ الْوَزِيرُ الأَمِينُ مُدَّةً طَوِيلَةً تَفْكِيراً عَمِيقاً ، وَأَخِيراً قَالَ لِلسُّلْطَانِ : إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُحِيطُ بِهٰذِهِ الأَمِيرَةِ مَصْنُوعٌ مِنَ الذَّهَبِ ، فَالْمَنَاضِدُ ذَهَبِيَّةٌ ، وَالأَوَانِي ذَهَبِيَّةٌ ، وَالْفَنَاجِينُ وَالأَطْبَاقُ وَالأَكْوَابُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقَصْرِ مَصْنُوعٌ مِنَ الذَّهَبِ ، وَإِنَّ هٰذِهِ الأَمِيرَةَ تُحِبُّ الذَّهَبَ كُلَّ الْحُبِّ ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ الْمَزِيدَ ، وَتَبْحَثُ عَلَى الدَّوَامِ عَنْ ثَرْوَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ، وَشِعَارُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ الذَّهَبُ ، الذَّهَبُ . وَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ فِي مَخَازِنِكَ كَثِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُحَوَّلَ إِلَى أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ التُّحَفِ وَالزَّهْرِيَّاتِ الْجَمِيلَةِ ، وَإِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الطُّيُورِ الْغَرِيبَةِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْعَجِيبَةِ ، ثُمَّ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ هٰذَا كُلَّهُ بَعْدَ صُنْعِهِ ، وَأَنْ نُجَرِّبَ حَظَّنَا عِنْدَ الأَمِيرَةِ .

لِهٰذَا أَمَرَ السُّلْطَانُ بِإِحْضَارِ جَمِيعِ الصَّائِغِينَ الْمَاهِرِينَ فِي الْمَمْلَكَةِ وَصَانِعِي الْجَوَاهِرِ ، لِيَشْتَغِلُوا لَيْلاً وَنَهَاراً فِي تَحْوِيلِ مَا عِنْدَ السُّلْطَانِ مِنَ الذَّهَبِ إِلَى طُيُورٍ ذَهَبِيَّةٍ جَمِيلَةٍ ، وَأَوَانٍ ذَهَبِيَّةٍ بَدِيعَةٍ ، وَحَيَوَانَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ نَادِرَةٍ .

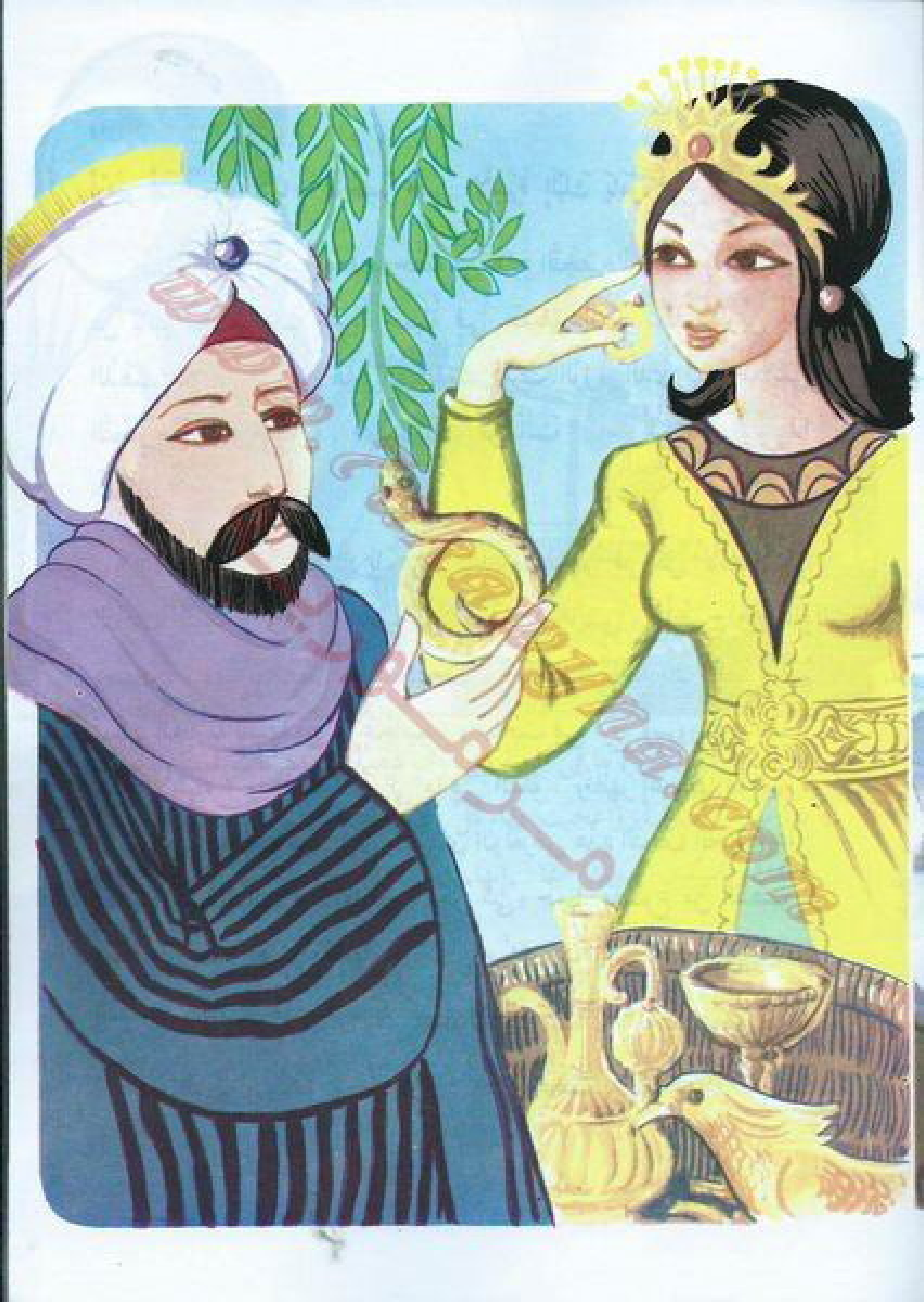
وَلَمَّا أَتَمَّ الصَّائِغُونَ صُنْعَ هٰذِهِ التُّحَفِ أَعَدَّ الْوَزِيرُ الأَمِينُ سَفِينَةً كَبِيرَةً ، وَحَمَّلَهَا بِهٰذِهِ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ ، وَلَبِسَ الْوَزِيرُ الأَمِينُ مَلَابِسَ تُجَّارِ التُّحَفِ



الْغَالِيَةِ ، كَمَا لَبِسَ السُّلْطَانُ مَلَابِسَ شَيْخِ تُجَّارِ التُّحَفِ وَالْجَوَاهِرِ ؛ حَتَّى لَا يَعْرِفَ أَحَدٌ شَخْصِيَّتَهُمَا.

وَحِينَمَا جُهِّزَتِ السَّفِينَةُ بِالْبَحْرِيِّينَ وَبِكُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فى السَّفَرِ ، أَمَرَ السُّلْطَانُ بِإِبْحَارِ السَّفِينَةِ ، فَأَخَذَتْ تَسِيرُ فى الْبَحْرِ. وَاسْتَمَرَّتْ سَائِرَةً لَيْلاً وَنَهَاراً حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى شَاطِئِ الْبِلَادِ الَّتى يَحْكُمُهَا مَلِكُ الْقَصْرِ الذَّهَبِىِّ.

وَلَمَّا رَسَتِ السَّفِينَةُ عَلَى الشَّاطِئِ ، قَالَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ لِلسُّلْطَانِ : يَا مَوْلَاىَ ؛ أَرْجُو أَنْ تَبْقَى فى السَّفِينَةِ ، وَسَأَنْزِلُ وَآخُذُ مَعِى مَجْمُوعَةً مِنَ التُّحَفِ وَالْهَدَايَا الذَّهَبِيَّةِ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَى بِنْتِ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِىِّ. وَسَأَقُومُ بِحِيلَةٍ



أَرْجُو أَنْ أَنجحَ فِيهَا ، فَأُحْضِرَ مَعِى الأَمِيرَةَ إِلَيْكَ يَامَوْلَاىَ .

حَمَلَ الْوَزِيرُ الأَمِينُ مَعَهُ مَا حَمَلَهُ مِنْ هٰذِهِ التُّحَفِ الثَّمِينَةِ . وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ وَجَدَ جَارِيَةً جَمِيلَةً فِى حَدِيقَةِ الْقَصْرِ تَمْلأُ دَلْوَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ مَاءً مِنْ بِئْرٍ فِى هٰذِهِ الْحَدِيقَةِ ، فَقَرُبَ الْوَزِيرُ الَّذِى لَبِسَ مَلَابِسَ التُّجَّارِ مِنْ هٰذِهِ الْجَارِيَةِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا أَتَى بِكَ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ ؟ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ : يَا سَيِّدَتِى أَنَا تَاجِرٌ مَشْهُورٌ فِى كُلِّ الأَقْطَارِ بِبَيْعِ التُّحَفِ الثَّمِينَةِ ، وَالْهَدَايَا الْغَالِيَةِ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ سَلَّةٍ (سَبَت) كَانَتْ مَعَهُ بَعْضَ هٰذِهِ التُّحَفِ ، وَسَمَحَ لِلْجَارِيَةِ بِأَنْ تَرَاهَا ، فَلَمْ تَمْلِكْ الْجَارِيَةُ نَفْسَهَا مِنَ الإِعْجَابِ ، وَصَاحَتْ فِى فَرَحٍ وَسُرُورٍ : مَا أَجْمَلَ هٰذِهِ الأَشْيَاءَ ! وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ إِلَى مَا فِى السَّلَّةِ ، وَتُظْهِرُ إِعْجَابَهَا الْعَظِيمَ ، ثُمَّ قَالَتْ لِتَاجِرِ الْجَوَاهِرِ : أَرَى يَا سَيِّدِى أَنْ تَعْرِضَ هٰذِهِ التُّحَفَ الْجَمِيلَةَ عَلَى الأَمِيرَةِ بِنْتِ الْمَلِكِ ، لأَنَّهَا مُحِبَّةٌ لِكُلِّ شَىْءٍ جَمِيلٍ مَصْنُوعٍ مِنَ الذَّهَبِ ، وَسَتَشْتَرِى هٰذِهِ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا . وَأَرَى يَا سَيِّدِى أَنْ تَأْتِىَ مَعِى إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ. وَكَانَتْ هٰذِهِ الْجَارِيَةُ كَبِيرَةَ وَصِيفَاتِ الأَمِيرَةِ .

فَسُرَّ التَّاجِرُ ، وَدَخَلَ مَعَ الْجَارِيَةِ ، حَتَّى وَصَلَتْ بِهِ إِلَى مَكَانِ الأَمِيرَةِ .



وَحِينَمَا رَأَتِ الْأَمِيرَةُ مَا فِي السَّلَّةِ مِنْ أَوَانٍ ذَهَبِيَّةٍ ، وَزَهْرِيَّاتٍ ثَمِينَةٍ ، سُرَّتْ بِهَا سُرُوراً كَثِيراً ، وَأُعْجِبَتْ بِهَا كُلَّ الْإِعْجَابِ ، ثُمَّ قَالَتْ لِلتَّاجِرِ : إِنَّ تُحَفَكَ يَاسَيِّدِي جَمِيلَةٌ حَقًّا . إِنَّهَا بَدِيعَةُ الصُّنْعِ ، وَسَأَشْتَرِيهَا كُلَّهَا .

فَقَالَ التَّاجِرُ وَهُوَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ : أَيَّتُهَا الْأَمِيرَةُ الْعَظِيمَةُ : مَا أَنَا إِلَّا خَادِمٌ لِأَحَدِ التُّجَّارِ الْأَغْنِيَاءِ ، وَإِنَّ مَا مَعِي الْآنَ مِنَ التُّحَفِ الثَّمِينَةِ شَيْءٌ قَلِيلٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَوَانِي النَّفِيسَةِ ، فَهُنَاكَ

أَثْمَنُ الْجَوَاهِرِ ، وَأَجْمَلُ الآنِيَةِ الذَّهَبِيَّةِ . وَعِنْدَئِذٍ أَظْهَرَتِ الأَمِيرَةُ رَغْبَتَهَا فِى إِحْضَارِ هٰذِهِ النَّفَائِسِ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ الأَمِينُ : أَيَّتُهَا الأَمِيرَةُ ، إِنَّ نَقْلَ هٰذِهِ الذَّخَائِرِ وَالتُّحَفِ يَسْتَغْرِقُ عِدَّةَ أَيَّام ؛ لِأَنَّهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ نَقْلُهَا كَمَا تُرِيدُ الأَمِيرَةُ ، وَمِنَ الأَفْضَلِ أَنْ تَتَكَرَّمَ الأَمِيرَةُ بِزِيَارَةِ سَيِّدِى فِى السَّفِينَةِ ، لِرُؤْيَةِ مَا فِيهَا . فَزَادَتْ رَغْبَتُهَا فِى رُؤْيَةِ الْجَوَاهِرِ ، وَاشْتَاقَتْ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى السَّفِينَةِ ، فَأَعَدَّتْ عُدَّتَهَا ، وَرَكِبَتْ (عَرَبَتَهَا) . وَبَعْدَ قَلِيلٍ كَانَتْ أَمَامَ السَّفِينَةِ . وَلَمَّا نَزَلَتْ مِنَ (الْعَرَبَةِ) سَارَ بِهَا الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ إِلَى دَاخِلِ السَّفِينَةِ .





وَلَمَّا رَآهَا السُّلْطَانُ سُرَّ غَايَةَ السُّرُورِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ ضَبْطِ شُعُورِهِ ، ثُمَّ سَارَ أَمَامَهَا لِيُرِيَهَا مَا فِى السَّفِينَةِ مِنْ تُحَفٍ وَذَخَائِرَ وَآنِيَةٍ ذَهَبِيَّةٍ .

وَحِينَمَا شُغِلَتِ الْأَمِيرَةُ بِمُشَاهَدَةِ التُّحَفِ وَالْجَوَاهِرِ أَخَذَ الْوَزِيرُ يَتَأَخَّرُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِالْبَحَّارَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِرَفْعِ الْقِلَاعِ وَشِرَاعِ السَّفِينَةِ وَالْإِبْحَارِ بِسُرْعَةٍ ، وَقَالَ لَهُمْ : «انْشُرُوا الْقِلَاعَ حَتَّى تَطِيرَ السَّفِينَةُ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ كَمَا يَطِيرُ الطَّائِرُ فِى الْهَوَاءِ» .

وَكَانَ السُّلْطَانُ يُرِى الْأَمِيرَةَ الْبَضَائِعَ الذَّهَبِيَّةَ شَيْئًا فَشَيْئًا فَأَرَاهَا الْأَطْبَاقَ وَالْفَنَاجِينَ ، وَالْأَكْوَابَ ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْعَجِيبَةَ ، وَالطُّيُورَ الْغَرِيبَةَ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الذَّهَبِ . وَقَدِ اسْتَغْرَقَتْ هٰذِهِ الْمُشَاهَدَةُ عِدَّةَ سَاعَاتٍ . وَبَعْدَ هٰذِهِ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةِ الَّتِى قَضَتْهَا الْأَمِيرَةُ فِى الْفَحْصِ عَنْ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ ، فُوجِئَتْ بِأَنَّ السَّفِينَةَ تَسِيرُ فِى وَسَطِ الْبَحْرِ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ ، فَدَهِشَتْ وَتَحَيَّرَتْ ، وَصَاحَتْ خَائِفَةً : إِنِّى أُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى قَصْرِى ، مَاذَا تُرِيدُونَ مِنِّى ؟ لَقَدْ خَدَعْتُمُونِى ، وَأَبْعَدْتُمُونِى عَنْ بَلَدِى ، إِنَّكُمْ لَا شَكَّ قَوْمٌ مِنَ السَّحَرَةِ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ مَلَابِسَ التُّجَّارِ . هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ تَحْكُمُوا عَلَيَّ بِالْمَوْتِ ؟ أَرْجِعُونِى إِلَى بَلَدِى . وَاسْتَمَرَّتِ الْأَمِيرَةُ ثَائِرَةً تَصِيحُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ . وَعِنْدَ ذٰلِكَ خَلَعَ السُّلْطَانُ ثَوْبَهُ الْمُسْتَعَارَ ، وَظَهَرَ فِى ثِيَابِ

السَّلاطِينِ ، وَقَالَ لَهَا : لاَ خَوْفَ عَلَيْكِ يَا عَزِيزَتِي الأَمِيرَة . أَنَا سُلْطَانٌ ؛ وَلَسْتُ تَاجِراً ، وَقَدْ وَرِثْتُ السَّلْطَنَةَ عَنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَأَنَا مِنْ أُسْرَةٍ نَبِيلَةٍ شَرِيفَةٍ ، فَمَاذَا يُخِيفُكِ مِنِّي ؟ لَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى هَذِهِ الوَسِيلَةِ ؛ لأَنِّي أُحِبُّكِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ صُورَتَكِ مَحْفُوظَةً بِقَاعَةٍ فِي قَصْرِ وَالِدِي ، فَوَقَعَ حُبُّكِ فِي قَلْبِي ، وَاسْتَوْلَى عَلَى نَفْسِي . وَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّكِ ابْنَةُ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ حَضَرْتُ إِلَى أَرْضِكُمْ بِسَفِينَتِي ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ أَبَاكِ الْمَلِكَ لاَ يُحِبُّ أَنْ تَبْعُدِي عَنْهُ ، فَاحْتَلْتُ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ ، لِكَيْ تَكُونِي شَرِيكَتِي فِي الْحَيَاةِ ، سُلْطَانَةً عَلَى عَرْشِ بِلاَدِي .

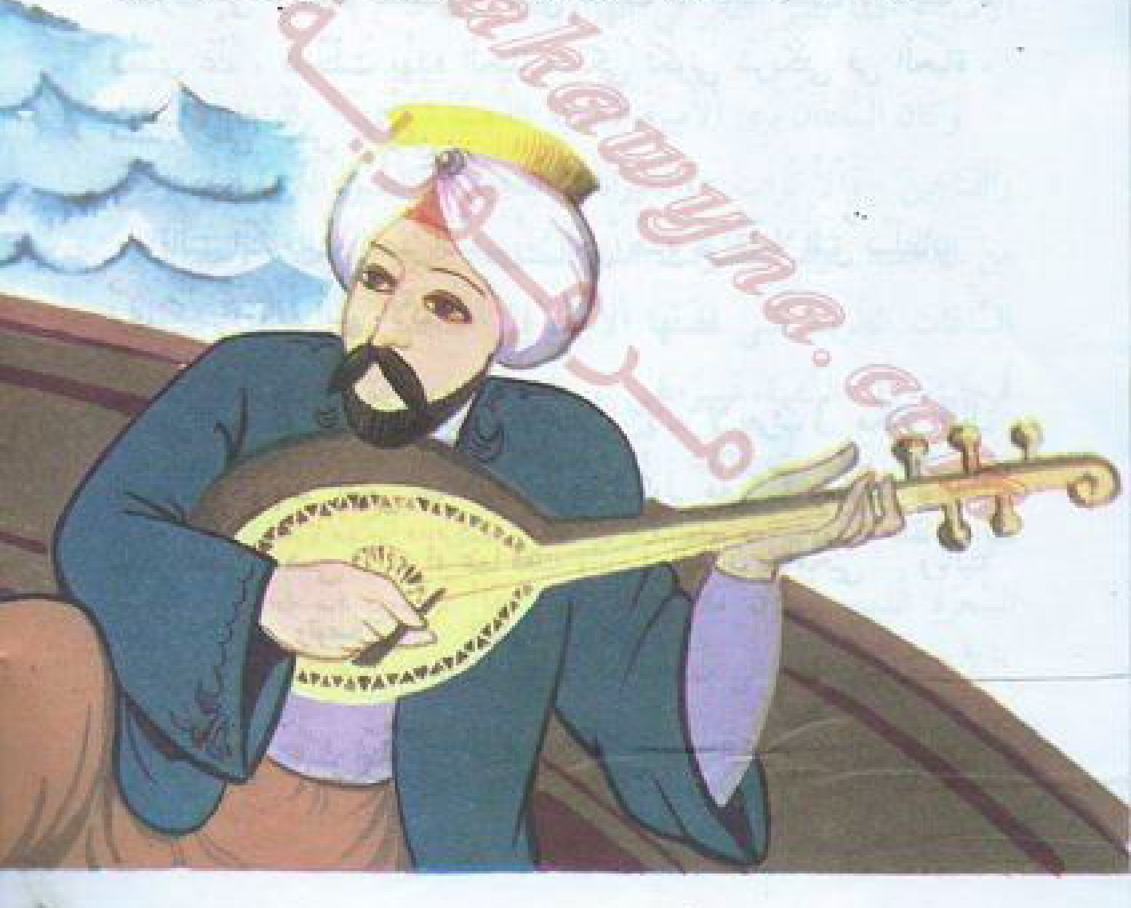
قَالَتِ ابْنَةُ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ : لَكِنَّ هَذِهِ طَرِيقَةٌ لا تَلِيقُ بِسُلْطَانٍ . . تُرَى كَيْفَ حَالُ أَبِي الآنَ ؟

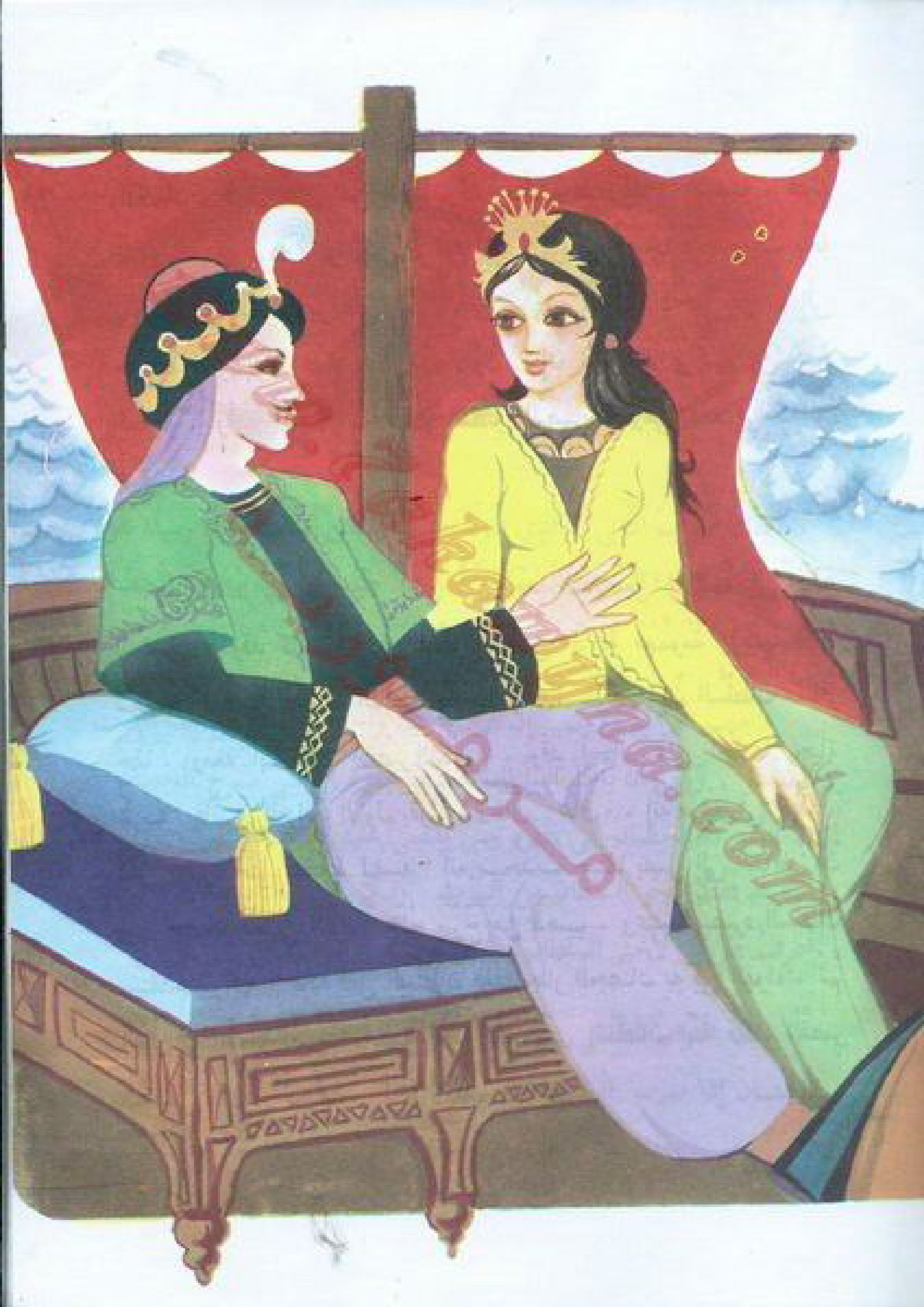
مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ يَكَادُ يُجَنُّ لاخْتِفَائِي لِأَنَّهُ لا يَعْرِفُ لِي مَكَاناً . فَقَالَ السُّلْطَانُ : لَمْ يَكُنْ أَمَامِي غَيْرُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لِتَكُونِي مَعِي . . وَسَأُرْسِلُ لِوَالِدِكِ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ أَعْتَذِرُ لَهُ عَمَّا فَعَلْتُهُ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يُسَامِحَنِي . . وَيَالَيْتَهُ يَقْبَلُ اعْتِذَارِي وَتَوَسُّلاتِي . . وَيُبَارِكُ زَوَاجَنَا . .

وَحِينَمَا سَمِعَتِ ابْنَةُ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ هَذَا الْكَلامَ هَدَأَتْ ثَوْرَتُهَا .

وَارتَاحَ بَالُهَا . وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهَا . فَقَدْ عَرفت أنَّ الأَمير لا يُريدُ بها شرًّا وَهدأتْ وَأظْهرت حبَّها لِلسُّلطَانِ . وَإعْجَابَها بِهِ . وَرَضِيَتْ أنْ تَصير زَوْجَةً مُخْلِصَةً لَهُ .

كَانَتِ السَّفِينَةُ سَائِرَةً في البَحْرِ وَالرِّيحِ هَادِئَةٌ . وَكانَ الوَزِيرُ جَالِساً يمتّعُ نَفْسَهُ بهوَاءِ البَحْرِ الجَمِيلِ . وَيُسلِّي نَفْسَهُ بِالْغِنَاءِ عَلَى نَغمَاتِ الْعُود





وَالْكَمَانِ . فَرَأَى ثَلاثَةً مِنَ الْغِرْبَانِ قَدْ حَطَّتْ عَلَى قِلاعِ السَّفِينَةِ . فَتَرَكَ الْغِنَاءَ وَأَهْمَلَ عُودَهُ . وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَى هٰذِهِ الْغِرْبَانِ . فَوَجَدَهَا تَتَحَدَّثُ بِلُغَةِ الطُّيورِ . وَكَانَ الْوَزِيرُ عَلَى عِلْمٍ بِأُصُولِ هٰذِهِ اللُّغَةِ . فَأَخَذَ يُنْصِتُ إِلَى حَدِيثِهَا الْغَرِيبِ . فَقَالَ الْغُرَابُ الأَوَّلُ : إِنَّ السُّلْطَانَ يَرْكَبُ فِي هٰذِهِ السَّفِينَةِ . وَقَدْ خَطَفَ ابْنَةَ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ . وَهِيَ مَعَهُ فِي دَاخِلِ السَّفِينَةِ .

وَقَالَ الغُرابُ الثَّانِي : أَظُنُّ أَنَّ أَحَدَ السَّلاطِينِ رَاكِبٌ فِي هٰذِهِ السَّفِينَةِ . وَقَدْ كَانَتْ أَمِيرَةُ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ حَزِينَةً مَهْمُومَةً وَلٰكِنَّهَا الآنَ سَعِيدَةٌ . فَنَشَرَ الْغُرَابُ الثَّالِثُ جَنَاحَيْهِ وَابْتَدَأَ يَقُولُ : إِنَّ السُّلْطَانَ مُسَافِرٌ حَقًّا ، وَمَعَهُ ابْنَةُ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ ، وَقَدِ احْتَالَ عَلَى أَخْذِهَا بِحِيلَةٍ غَرِيبَةٍ . فَانْبَرَى الْغُرَابُ الأَوَّلُ يَقُولُ . «غَاق . غَاق» . إِنَّهُ سَيَقَعُ فِي خَطَرٍ ، فَمَنْ يُخْبِرُهُ حَتَّى يَحْتَاطَ لِنَفْسِهِ ؟ إِنَّهُ سَيَحْدُثُ حِينَمَا يَصِلُ إِلَى الشَّاطِئِ أَنْ يَرَى حِصَانًا ذَهَبِيَّ اللَّوْنِ . عَلَيْهِ سَرْجٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِنْدَمَا يُبْصِرُهُ السُّلْطَانُ سَيَتَقَدَّمُ لِيَرْكَبَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ السُّلْطَانُ ذٰلِكَ طَارَ الْحِصَانُ بِهِ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، وَإِذَا حَصَلَ هٰذَا فَلَنْ يَرَى السُّلْطَانُ ابْنَةَ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ ، الَّتِي يُحِبُّهَا ، إِلَى الأَبَدِ .



فَقَالَ الْغُرَابُ الثَّانى : الَّذِى تَقُولُهُ حَقٌّ ، وَلٰكِنْ أَلَيْسَتْ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ نَقُومُ بِهَا لِمُسَاعَدَةِ هٰذَا السُّلْطَانِ الْمِسْكِينِ ، وَإِنْقَاذِ حَيَاتِه مِن رُكُوبِ هٰذَا الْحِصَانِ الْمَسْحُورِ ؟

فَأَجَابَ الْغُرَابُ الْأَوَّلُ : إِنَّ هُنَاكَ وَسِيلَةً وَاحِدَةً لِإِنْقَاذِهِ مِنْ هٰذَا الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ ، وَهِىَ أَنْ يَأْخُذَ السُّلْطَانُ الْخَنْجَرَ الْمَوْضُوعَ فِى سَرْجِ الْحِصَانِ . ثُمَّ يَطْعَنَ بِهِ الْحِصَانَ فِى ظَهْرِهِ حَتَّى يَقْضِىَ عَلَيْهِ إِذَا هَمَّ بِالطَّيَرَانِ . وَبِهٰذِهِ الْوَسِيلَةِ فَقَطْ يَنْجُو السُّلْطَانُ مِنَ الْمَوْتِ . وَلٰكِنْ مَنْ يُخْبِرُهُ بِذٰلِكَ ؟ لَيْتَنِى أَعْرِفُ طَرِيقَةً لِأُخْبِرَ السُّلْطَانَ بِمَا سَيَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ .

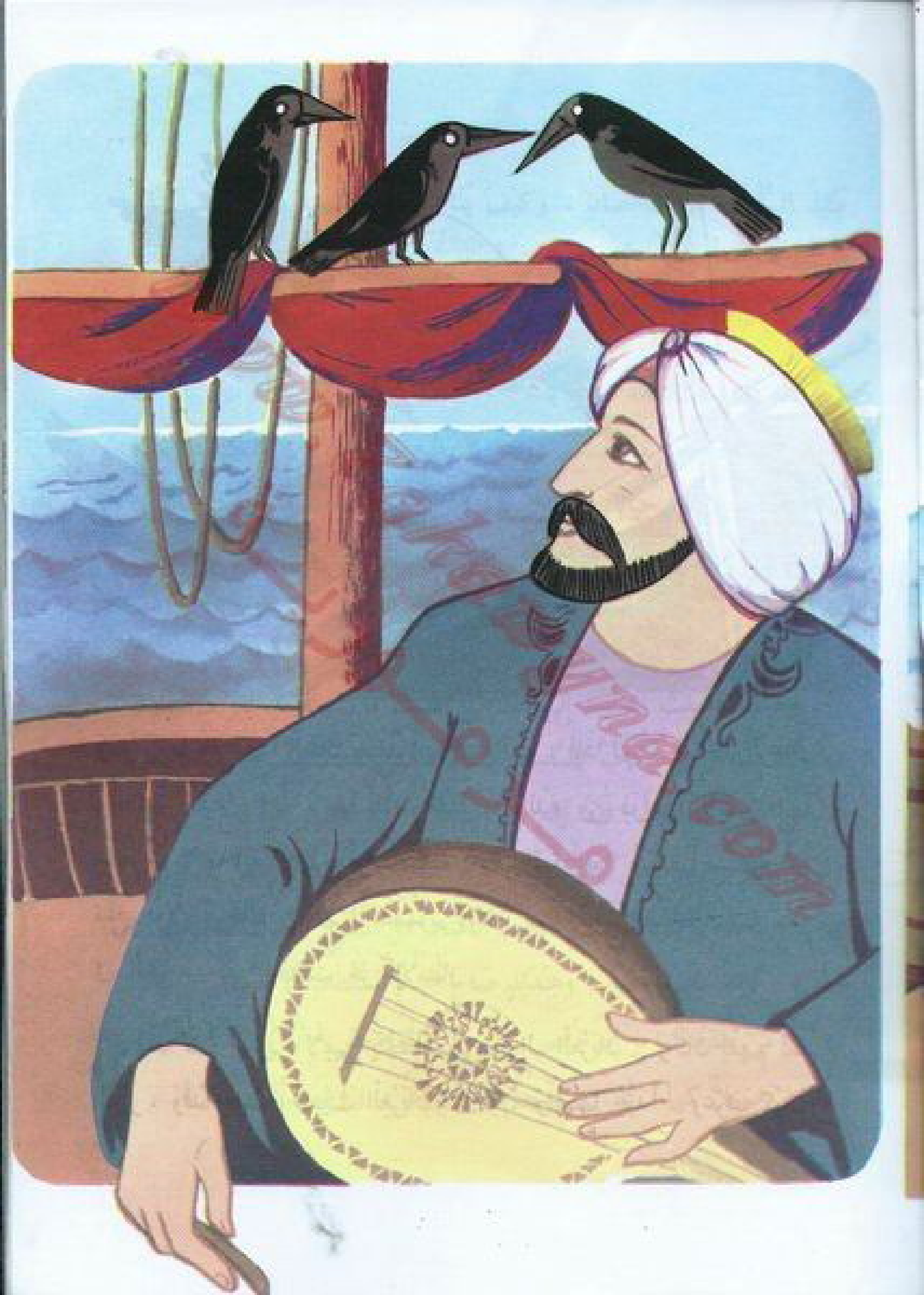
فَقَالَ الْغُرَابُ الثَّانِى : آه : لَوْ عَرَفَ السُّلْطَانُ ذٰلِكَ ، حِينَئِذٍ يَمُوتُ الْحِصَانُ إِذَا ضُرِبَ بِالْخَنْجَرِ ، وَبِذٰلِكَ تُنْقَذُ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ عَرُوسِهِ الْجَمِيلَةِ ،

وَلكِنْ أَلاَ تَعْلَمُ يَا أَخِي أَنَّهُمَا بَعْدَ هذَا سَيَتَعَرَّضَانِ إِلَى مَوْتٍ آخَرَ مُحَقَّقٍ إِذَا لَمْ يَحْتَاطَا لَهُ أَيْضاً ؟ فَالسُّلْطَانُ مَثَلاً عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى قَصْرِهِ سَيَجِدُ عَلَى إِحْدَى الأَرَائِكِ مِعْطَفاً جَمِيلاً مَنْسُوجاً مِنْ خُيُوطِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَعِنْدَمَا يُلْقِي نَظْرَةً عَلَيْهِ سَيُعْجَبُ بِهِ كُلَّ الإِعْجَابِ ، فَيُسْرِعُ إِلَى لُبْسِهِ ، وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ احْتَرَقَ السُّلْطَانُ فِي الْحَالِ ، وَلَنْ يَبْقَى مِنْهُ لَحْمٌ وَلاَ عَظْمٌ .

فَقَالَ الْغُرَابُ الثَّالِثُ : وَاأَسَفَاهُ ! وَاأَسَفَاهُ ! أَلاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَاعِدَهُ ؟ وَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ إِنْقَاذُهُ ؟

فَأَجَابَ الْغُرَابُ الثَّانِي : بَلَى إِنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَاعِدَهُ ، وَنَعْرِفُ كَيْفَ يُمْكِنُ إِنْقَاذُهُ إِذَا أَخَذَ وَاحِدٌ الْمِعْطَفَ ، وَأَلْقَى بِهِ فِي النَّارِ ، قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَهُ ، وَبِذلِكَ يَنْجُو مِنَ الاحْتِرَاقِ . وَلكِنْ مَا الْفَائِدَةُ مِنْ أَنَّنَا نَعْرِفُ ، وَنَحْنُ لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُخْبِرَهُ بِذلِكَ ، حَتَّى يَحْتَرِسَ ، وَيَسْتَعِدَّ لاتِّقَاءِ هذَا الشَّرِّ ؟

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ الْغُرَابُ الثَّالِثُ . هذَا مَا سَيَحْدُثُ لِلسُّلْطَانِ . أَمَّا مَا سَيَحْدُثُ لِلسُّلْطَانَةِ فَإِنَّ السُّلْطَانَ إِذَا نَجَا مِنَ الْحَرِيقِ ، وَأَقَامَ الاحْتِفَالَ لِلزَّوَاجِ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَةَ سَتُصَابُ فَجْأَةً بِنَوْبَةٍ عَصَبِيَّةٍ ، وَسَتَقَعُ عَلَى الأَرْضِ مُغْمًى عَلَيْهَا .





وَمَنْ يَرَاهَا عَلَى هٰذَا الْحَالِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ ، فَإِذَا لَمْ يُسْرِعْ أَحَدُ الرِّجَالِ وَيُحْضِرْ حُقْنَةً . وَيَأْخُذْ بِهَا ثَلَاثَ نُقَطٍ مِنَ الدَّمِ مِنْ ذِرَاعِهَا الْأَيْمَنِ فَإِنَّهَا سَتَمُوتُ لَا مُحَالَةَ . فَهَلْ يَعْرِفُ ذٰلِكَ رِجَالُ السُّلْطَانِ ؟ وَكَيْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُبَلِّغَ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالَ ، وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ لُغَتَنَا ؟ ثُمَّ أَخَذَتِ الْغِرْبَانُ الثَّلَاثَةُ تَطِيرُ فِي الْجَوِّ ، حَتَّى اخْتَفَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ .

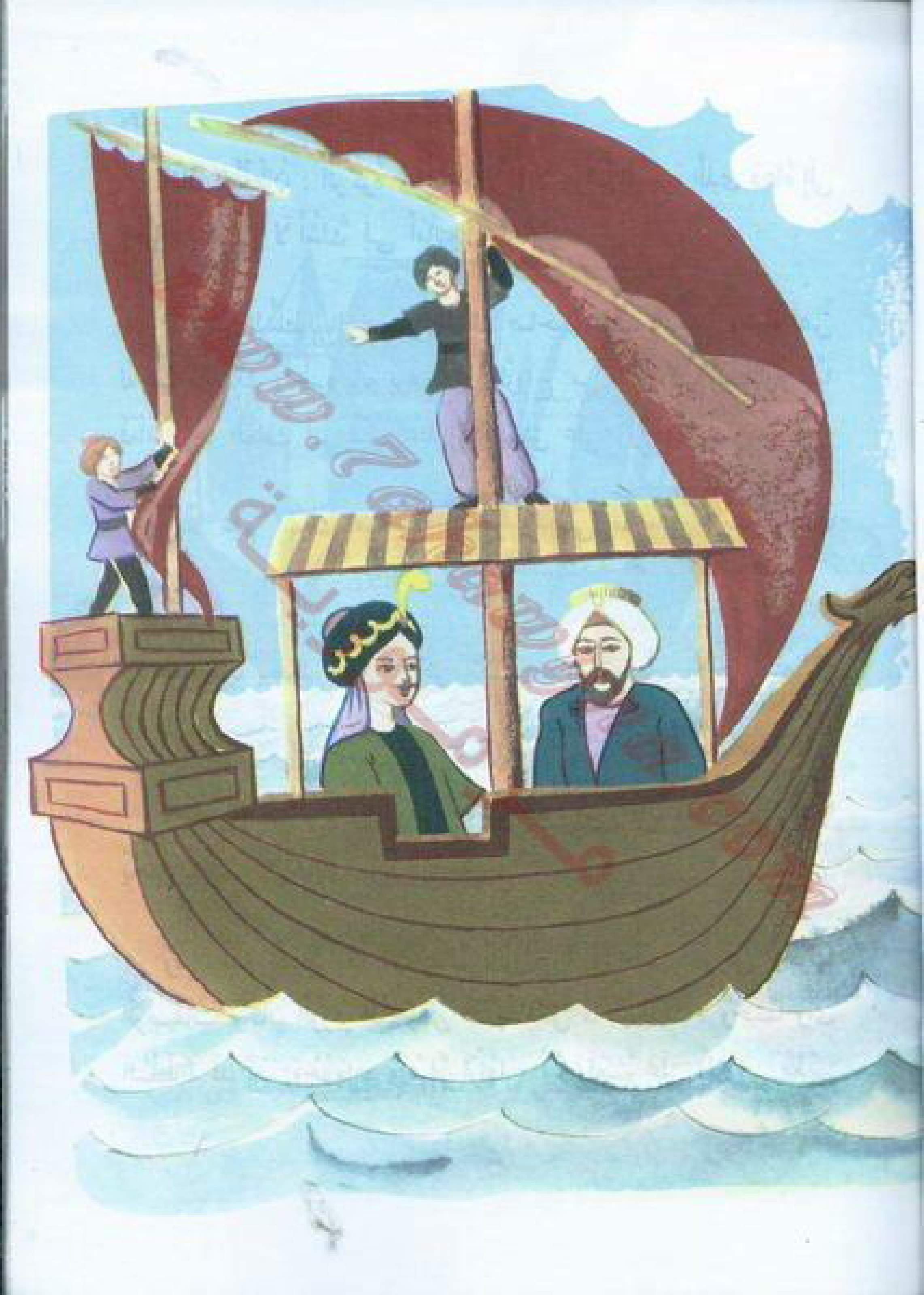
وَقَدْ كَانَ الْوَزِيرُ الْأَمِينُ يَسْتَمِعُ إِلَى أَقْوَالِ الْغِرْبَانِ ، وَكَانَ يَفْهَمُ لُغَةَ الطَّيْرِ ، وَقَدْ حَفِظَ أَحَادِيثَ الْغِرْبَانِ الثَّلَاثَةِ ، وَفَهِمَهَا جَيِّداً ، وَعَرَفَ كَيْفَ

يُنْقِذُ السُّلْطَانَ مِنَ الْحِصَانِ ، وَكَيْفَ يُنْقِذُهُ مِنَ الاحْتِرَاقِ ، وَكَيْفَ يُنْقِذُ السُّلْطَانَةَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَكِنْ بَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى فَهِمَهَا الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ مِنْ لُغَةِ الْغِرْبَانِ ، أَنَّ مَنْ يُنْقِذُ الأَمِيرَ وَالأَمِيرَةَ سَيَتَحَوَّلُ إِلَى تِمْثَالٍ حَجَرِيٍّ .

كَانَتْ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَشْغَلُ بَالَهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَجْلِ هٰذَا حَزِيناً ، إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ سَيِّدَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا سَمِعَ ، حَتَّى لاَ يُخِيفَهُ وَلاَ يُحْزِنَهُ ، وَلٰكِنَّهُ مَعَ هٰذَا أَخَذَ يَسْتَعِدُّ لإِنْقَاذِ حَيَاةِ سَيِّدِهِ بِنَفْسِهِ . وَكَانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلاً : سَأَكُونُ مُخْلِصاً إِلَى النِّهَايَةِ ، وَسَأَفِي بِوَعْدِي ، وَأُنْقِذُ سَيِّدِي ، وَلَوْ كَانَ فِي ذٰلِكَ فَقْدُ حَيَاتِي .

وَحِينَمَا وَصَلَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الشَّاطِئِ حَدَثَ مَا تَنَبَّأَتْ بِهِ الْغِرْبَانُ الثَّلاَثَةُ تَمَاماً ، فَقَدْ وَجَدَ رُكَّابُ السَّفِينَةِ حِصَاناً ذَهَبِيَّ اللَّوْنِ مُسْرَجاً وَاقِفاً عَلَى الشَّاطِئِ يَنْتَظِرُ السُّلْطَانَ . فَلَمَّا وَقَعَ نَظَرُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ أَظْهَرَ رَغْبَتَهُ فِي رُكُوبِهِ ، وَلٰكِنَّ الْوَزِيرَ الْمُخْلِصَ كَانَ أَسْبَقَ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَقَدْ قَفَزَ مِنَ السَّفِينَةِ ، وَرَكِبَ الْحِصَانَ بِسُرْعَةٍ ، ثُمَّ سَحَبَ الْخَنْجَرَ مِنَ السَّرْجِ وَضَرَبَ بِهِ الْحِصَانَ ضَرْبَةً ، قَاتِلَةً قَضَتْ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَئِذٍ صَاحَ خَدَمُ السُّلْطَانِ الآخَرُونَ ، وَكَانُوا يَغَارُونَ مِنْ هٰذَا الْوَزِيرِ الْمُخْلِصِ : إِنَّ مِنَ الْمُخْجِلِ جِدًّا أَنْ يَقْتُلَ الْوَزِيرُ حِصَاناً جَمِيلاً كَهٰذَا كَانَ يُعْجَبُ بِهِ السُّلْطَانُ ، وَيَرْغَبُ فِي رُكُوبِهِ .

فَقَالَ السُّلْطَانُ لِهٰؤُلَاءِ الْخَدَمِ : لَا تَعْتَرِضُوا عَلَى مَا فَعَلَ وَزِيرِى الْمُخْلِصُ ، فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مُخْلِصٌ لِى كُلَّ الْإِخْلَاصِ ، فَاتْرُكُوهُ حُرًّا ؛ فَهُوَ يَعْرِفُ مَا يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ ، ثُمَّ سَارُوا جَمِيعاً حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْقَصْرِ ، وَهُنَاكَ وَجَدُوا فِى إِحْدَى الْحُجَرِ مِعْطَفاً جَمِيلاً مَنْسُوجاً مِنْ خُيُوطِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَلَمَّا رَآهُ السُّلْطَانُ عَلَى إِحْدَى الْأَرَائِكِ أَرَادَ أَنْ يَلْبَسَهُ ، وَلٰكِنَّ الْوَزِيرَ الْمُخْلِصَ كَانَ مُتَنَبِّهاً إِلَى الْخُطَّةِ الَّتِى تَعَلَّمَهَا مِنْ حَدِيثِ الْغِرْبَانِ ، فَأَسْرَعَ إِلَى الْمِعْطَفِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ ، وَأَلْقَى بِهِ فِى النَّارِ وَأَحْرَقَهُ . فَبَدَأَ الْخَدَمُ مَرَّةً ثَانِيَةً يَتَذَمَّرُونَ ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ الْوَزِيرِ الْمُخْلِصِ .



فَقَالَ السُّلْطَانُ : اتْرُكُوهُ وَشَأْنَهُ ؛ لِأَنَّنَا لَا نَعْرِفُ السَّبَبَ الَّذِى دَعَاهُ إِلَى إِحْرَاقِهِ ، وَإِنِّى لَا أَشُكُّ فِى أَمَانَتِهِ وَإِخْلَاصِهِ .

ثُمَّ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الشَّابُّ إِلَى المَلِكِ صَاحِبِ القَصْرِ الذَّهَبِىِّ رِسَالَةً قَصَّ لَهُ فِيهَا مَاحَدَثَ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ يَرْغَبُ فِى الزَّوَاجِ مِنَ ابْنَتِهِ وَقَدَّمَ اعْتِذَارَهُ عَمَّا فَعَلَهُ وَرَجَا المَلِكَ أَنْ يَقْبَلَ اعْتِذَارَهُ وَيُوَافِقَ عَلَى زَوَاجِهَا وَيُبَارِكَهُ . .

وَلَمَّا عَلِمَ المَلِكُ صَاحِبُ القَصْرِ الذَّهَبِىِّ مَاحَدَثَ لِابْنَتِهِ اطْمَأَنَّ عَلَيْهَا . .

فَقَدْ كَانَ يَبْحَثُ عَنْهَا فِى كُلِّ مَكَانٍ . . وَوَافَقَ عَلَى زَوَاجِ ابْنَتِهِ مِنَ السُّلْطَانِ الشَّابِّ . .

وَحَضَرَ الاحْتِفَالَ . وَأَقْبَلَ فِى حَاشِيَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ رِجَالِ مَمْلَكَتِهِ ، وَكَانُوا يَحْمِلُونَ أَثْمَنَ الهَدَايَا ، وَأَغْلَى التُّحَفِ .

وَفِى لَيْلَةِ القِرَانِ بَدَأَ الاحْتِفَالُ بِالزَّوَاجِ ، وَدَخَلَتِ العَرُوسُ وَحَوْلَهَا الوَصِيفَاتُ وَكَانَ الوَزِيرُ المُخْلِصُ مُتَنَبِّهاً لِكُلِّ مَا سَيَحْدُثُ . وَحِينَمَا رَأَى السُّلْطَانَةَ قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهَا ، وَاصْفَرَّ لَوْنُهَا ، ثُمَّ وَقَعَتْ عَلَى الأَرْضِ مُغْمًى

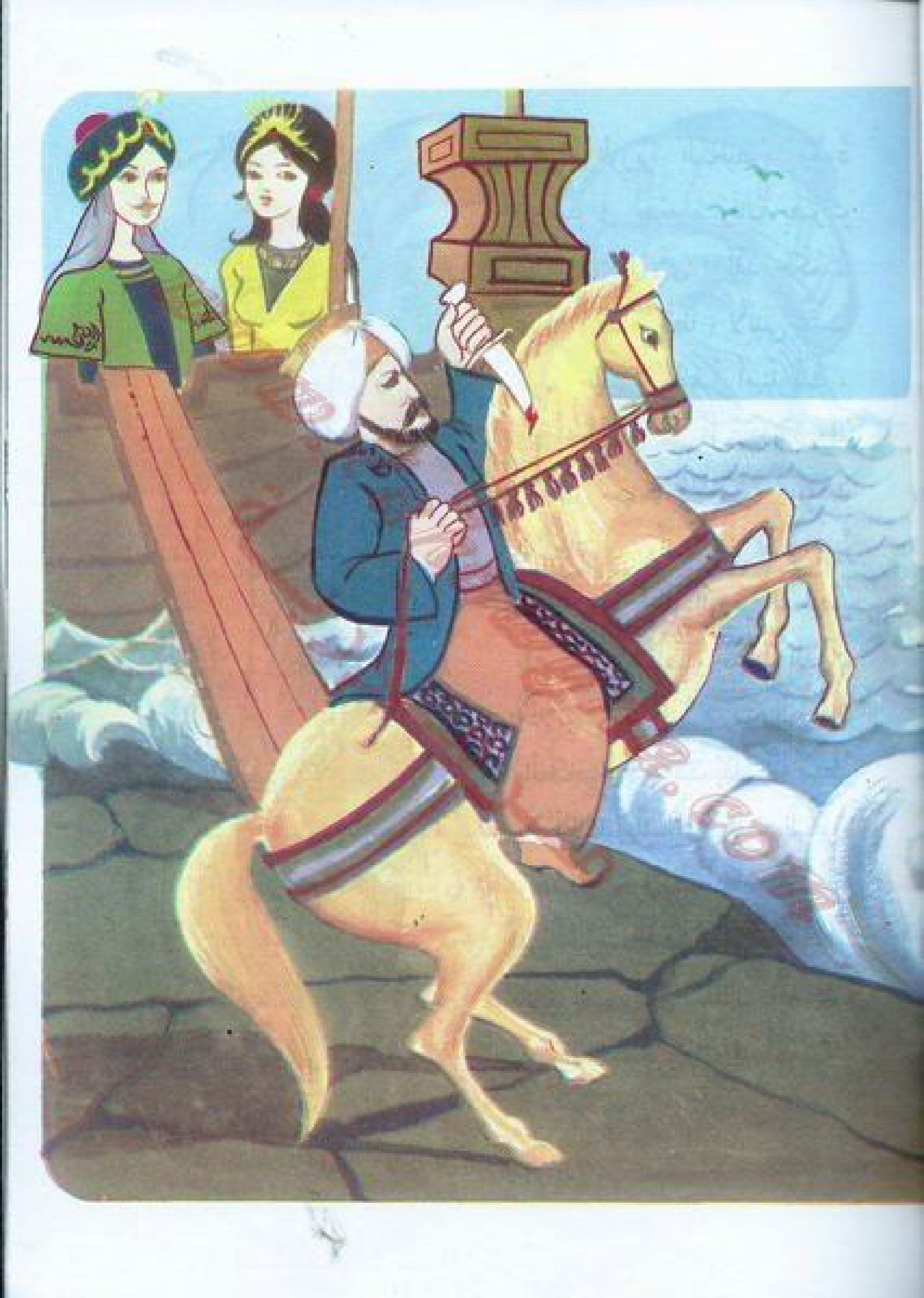


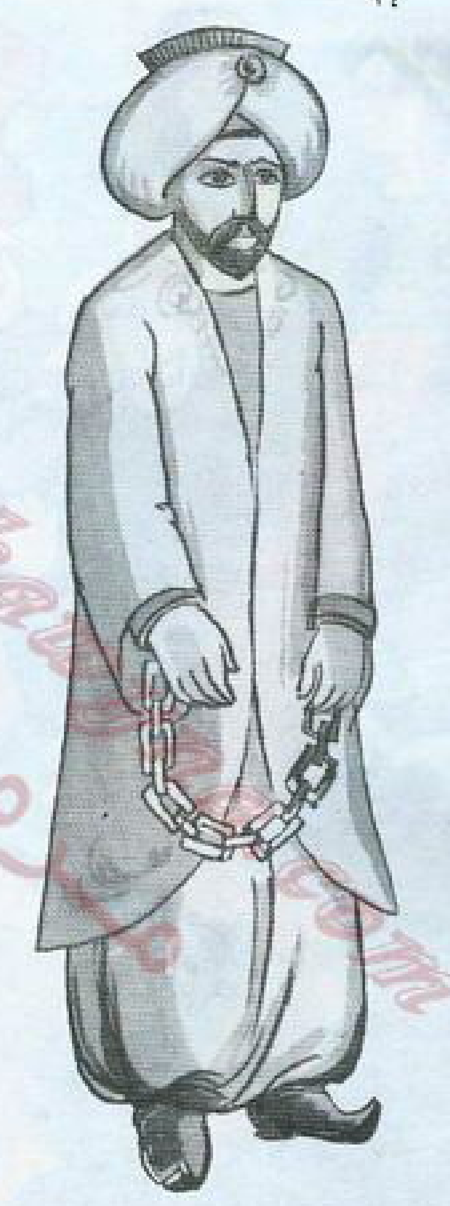
عليها أسرع نحوها ، ثم حملها بخفة ، ووضعها على أريكة (كنبة) من الأرائك ، وطلب محقناً فى الحال ، وأخذ ثلاث نقط من الدم من ذراعها الأيمن ، فعاد إليها تنفسها فى الحال ، وفتحت عينيها ، وعاد إليها نشاطها ، وردت إليها حياتها .

وقد شاهد السلطان الشاب كل ما حدث ، ولكنه لم يعرف فى أول

الأَمْرِ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيمَا فَعَلَهُ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ سَبَباً لِمَا قَامَ بِهِ ، وَقَدْ بَدَأَ الشَّكُّ يَدْخُلُ فِى نَفْسِهِ ، وَأَظْهَرَ غَضَبَهُ لِجَسَارَةِ الْوَزِيرِ ، وَجُرْأَتِهِ عَلَى أَخْذِ نُقَطِ الدَّمِ مِنْ ذِرَاعِ السُّلْطَانَةِ . وَعِنْدَئِذٍ أَمَرَ بِإِلْقَائِهِ فِى السِّجْنِ تَمْهِيداً لِقَتْلِهِ ، وَعِقَاباً لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ وَاسْتِهْتَارِهِ . وَفِى الصَّبَاحِ التَّالِى أُخِذَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ إِلَى الْمِشْنَقَةِ ، وَلَكِنَّهُ طَلَبَ أَنْ يَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ . فَأَذِنَ لَهُ السُّلْطَانُ فِى ذَلِكَ .







فَوَقَفَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ وَقُيُودُ الْحَدِيدِ فى يَدَيْهِ ؛ وَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ : « يَا مَوْلاَىَ ! لَقَدْ حَكَمْتَ عَلَىَّ بِالإِعْدَامِ خَطَأً ؛ لِأَنَّنِى عِشْتُ طُولَ حَيَاتِى مُخْلِصاً أَمِيناً لَكَ ، وَلَمْ أَخُنْكَ فى سِرٍّ أَوْ عَلاَنِيَةٍ . وَقَدْ أَنْقَذْتُ حَيَاتَكَ وَحَيَاةَ عَرُوسِكَ السُّلْطَانَةِ ، وَأَنْتَ لاَ تَعْلَمُ سِرَّ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ يَقُصُّ عَلَى السُّلْطَانِ حَدِيثَ الْغِرْبَانِ الثَّلاَثَةِ ، فَهُوَ قَدْ ضَرَبَ الْحِصَانَ بِالْخَنْجَرِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَطِيرُ بِالسُّلْطَانِ وَيُلْقِيهِ فى وَسَطِ الْبَحْرِ ، وَهُوَ قَدْ أَحْرَقَ الْمِعْطَفَ الْمَصْنُوعَ مِنْ خُيُوطِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا لَبِسَهُ احْتَرَقَ جِسْمُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَخَذَ نُقَطَ





الدَّمِ الثَّلاثَ مِنْ ذِرَاعِ السُّلْطَانَةِ ، لأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ مَاتَتِ السُّلْطَانَةُ .

وَمِنْ هٰذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنِّى لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتُ إِلاَّ لِحُبِّى لَكَ ، وَلإِخْلاَصِى فِى خِدْمَتِكَ ، وَإِنْقَاذاً لِحَيَاتِكَ » .

وَحِينَمَا سَمِعَ السُّلْطَانُ الشَّابُّ مَا قَالَهُ الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ ، تَأَثَّرَ كُلَّ التَّأَثُّرِ ، وَقَالَ : إِنِّى آسِفٌ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ الأَمِينُ كُلَّ الأَسَفِ . لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِى الْحُكْمِ عَلَيْكَ حَقًّا ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِطْلاَقِ سَرَاحِهِ ، وَلٰكِنَّ الْوَزِيرَ الأَمِينَ بَعْدَ أَنْ فَسَّرَ مَا حَدَثَ وَأَطْلَقَ السُّلْطَانُ سَرَاحَهُ ، وَعَفَا عَنْهُ ، وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ لاَ حَرَكَةَ بِهِ ، وَتَحَوَّلَ إِلَى تِمْثَالٍ حَجَرِىٍّ ، فَحَزِنَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحُزْنِ ، كَمَا حَزِنَتِ السُّلْطَانَةُ ، ثُمَّ قَالَ السُّلْطَانُ : لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ

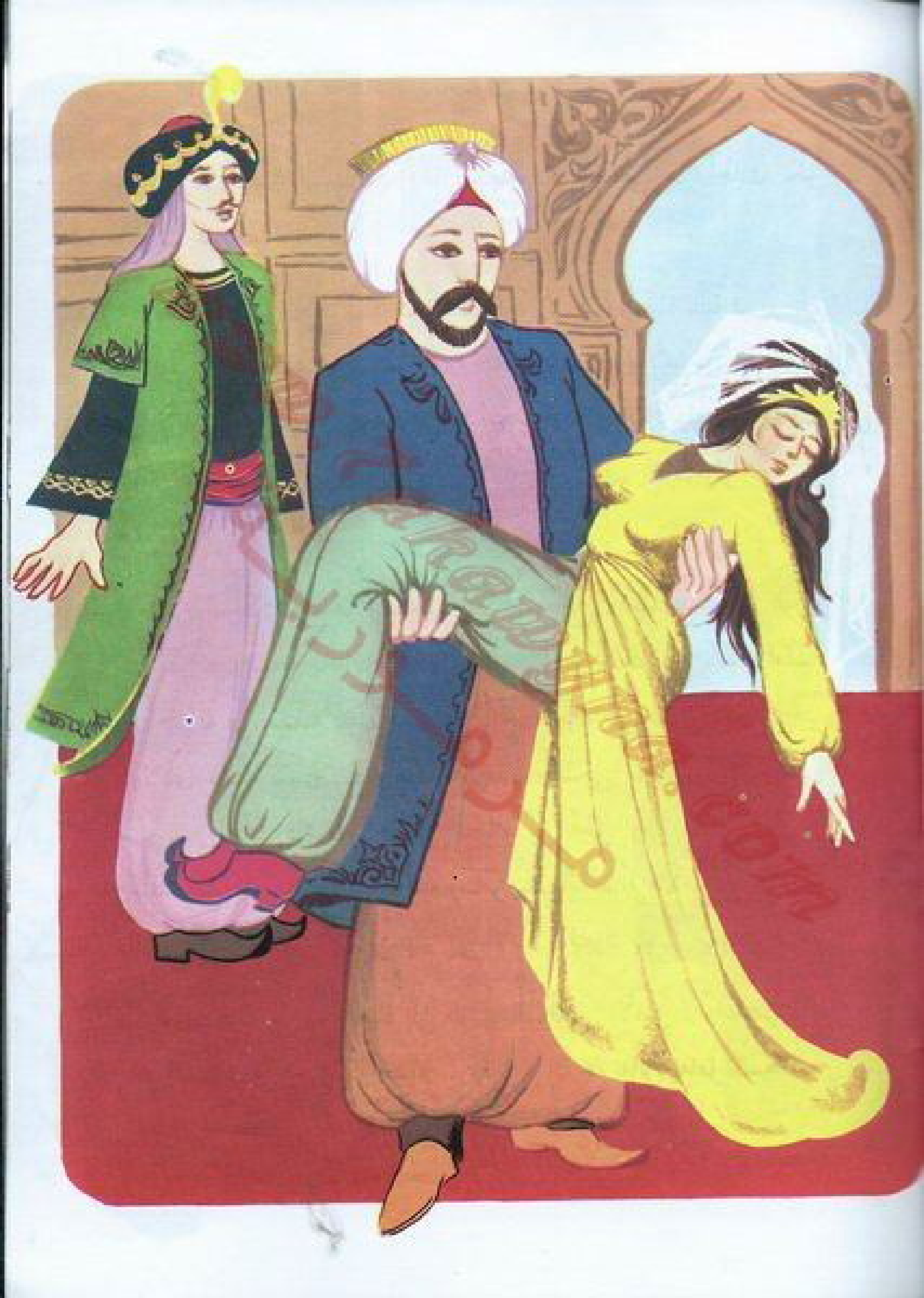
وَكَافَأْتُكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ ، وَلَمْ أُقَدِّرْ إِخْلَاصَكَ وَأَمَانَتَكَ ، ثُمَّ أَمَرَ السُّلْطَانُ بِأَنْ يُؤْخَذَ هٰذَا التِّمْثَالُ الْحَجَرِيُّ ، وَيُوضَعَ فِي حُجْرَتِهِ الْخَاصَّةِ بِالْقُرْبِ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَكَانَ كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِ بَكَى وَقَالَ : هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعِيدَكَ إِلَى الْحَيَاةِ ثَانِيَةً أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْأَمِينُ ؟ ثُمَّ يَسْتَرْسِلُ فِي الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ .

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ رُزِقَ السُّلْطَانُ وَالسُّلْطَانَةُ طِفْلَيْنِ جَمِيلَيْنِ ، فَعُنِيَا بِتَرْبِيَتِهِمَا ، وَقَدْ كَانَا مَبْعَثَ سُرُورِهِمَا وَفَرَحِهِمَا ، وَكَانَتِ السُّلْطَانَةُ تُحِبُّهُمَا حُبًّا كَثِيراً .

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَتِ السُّلْطَانَةُ لِزِيَارَةِ أَحَدِ الْمَلَاجِئِ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا لِرِعَايَةِ الْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ ، وَكَانَ الطِّفْلَانِ يَلْعَبَانِ مَعَ أَبِيهِمَا السُّلْطَانِ . وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ نَظَرَ السُّلْطَانُ إِلَى التِّمْثَالِ الْحَجَرِيِّ . فَبَدَأَ يَبْكِي مِنَ الْحُزْنِ ثُمَّ قَالَ : هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَعُودَ الْحَيَاةُ ثَانِيَةً إِلَيْكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ ؟

وَقَدْ تَحَيَّرَ السُّلْطَانُ عِنْدَمَا بَدَأَ التِّمْثَالُ الْحَجَرِيُّ يَتَكَلَّمُ وَيُجِيبُ : أَيُّهَا السُّلْطَانُ ، إِنَّ فِي اسْتِطَاعَتِكَ أَنْ تُعِيدَ إِلَيَّ الْحَيَاةَ ، وَلٰكِنْ لَا يَكُونُ ذٰلِكَ إِلَّا إِذَا ضَحَّيْتَ مِنْ أَجْلِي بِأَعَزِّ شَيْءٍ عِنْدَكَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ .

فَقَالَ السُّلْطَانُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْأَمِينُ ، أَنَا لَا أَنْسَى أَنِّي مَدِينٌ لَكَ

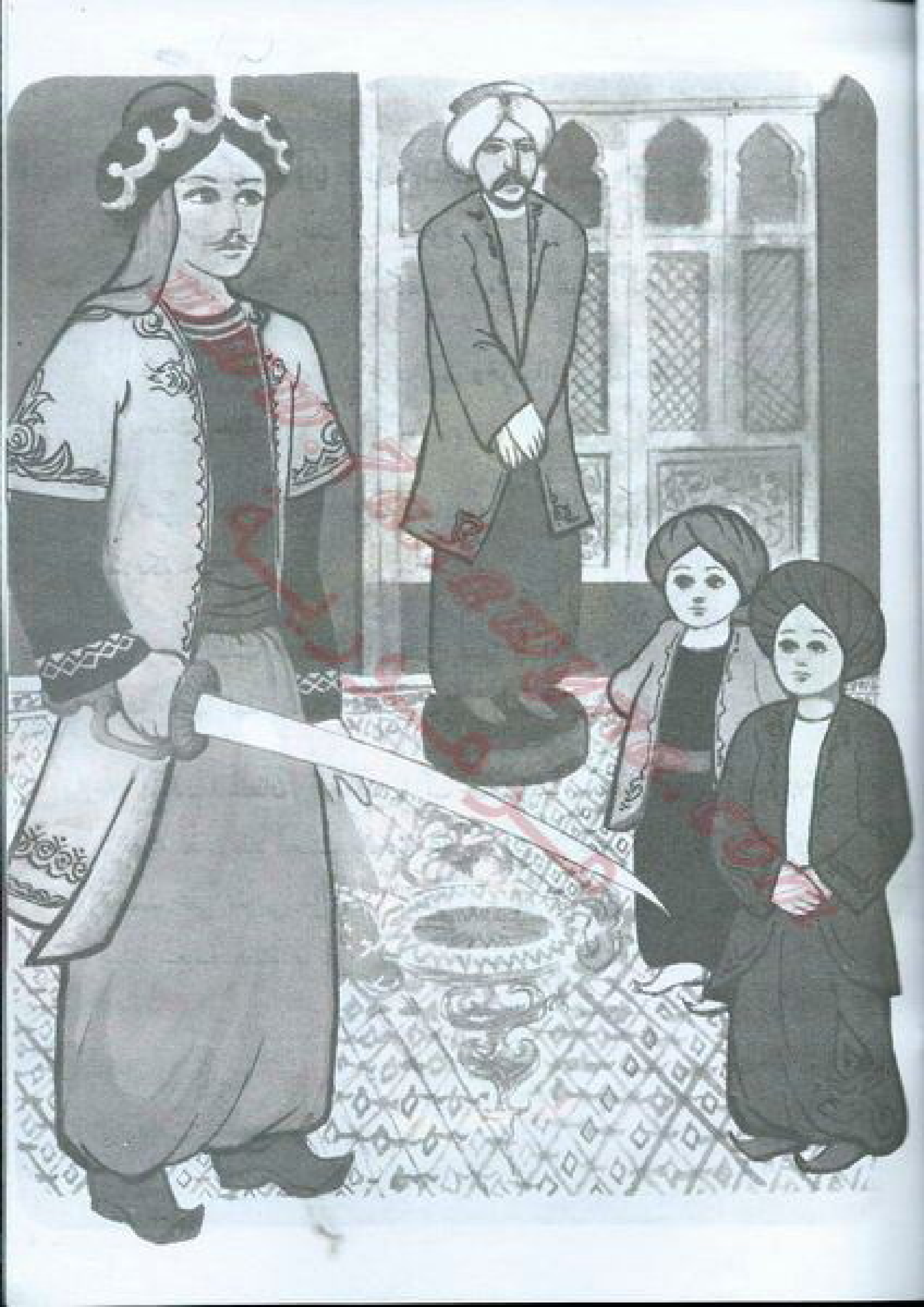


بِحَيَاتِي ، وَبِحَيَاةِ السُّلْطَانَةِ . وَأَنَا مُسْتَعِدٌ لِأَنْ أُضَحِّيَ مِنْ أَجْلِكَ بِكُلِّ مَا أَمْلِكُ فِي هذَا الْعَالَمِ .

فَقَالَ التِّمْثَالُ الْحَجَرِيُّ : إِنْ أَرَدْتَ يَا مَوْلَايَ لِي الْحَيَاةَ ثَانِيَةً فَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ لَابُدَّ مِنْ أَنْ تُفَارِقَ زَوْجَتَكَ السُّلْطَانَةَ وَالْأَمِيرَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ إِلَى الْأَبَدِ . فَتُرْسِلَهُمْ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ بَعِيدٍ وَيُمْكِنُ أَنْ تُرْسِلَهُمْ عِنْدَ مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ . وَلَا تُحَاوِلُ أَنْ تَرَاهُمْ أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ نَظَرُكَ وَلَوْ حَتَّى مِنْ بَعِيدٍ . .

فَفَزِعَ السُّلْطَانُ وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ ، وَتَأَثَّرَ مِمَّا سَمِعَ وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّ الْوَزِيرَ الْمُخْلِصَ قَدْ ضَحَّى بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِهِ ، وَمِنْ أَجْلِ السُّلْطَانَةِ ، وَتَذَكَّرَ مِقْدَارَ إِخْلَاصِهِ لَهُ فِي خِدْمَتِهِ فَقَالَ السُّلْطَانُ : إِنَّهُ لَصَعْبٌ عَلَى نَفْسِي فِرَاقُ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي فِلْذَةِ كَبِدِي . . وَأَهْوَنُ عَلَيَّ أَنْ أُضَحِّيَ بِحَيَاتِي عَنْ حِرْمَانِي مِنْهُمْ . . وَلَكِنْ وَفَاءً لِمَنْ ضَحَّى بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ زَوْجَتِي . . وَعِرْفَانًا بِهذَا الْجَمِيلِ سَأُنَفِّذُ مَا قُلْتَهُ وَسَآمُرُ بِسَفَرِ السُّلْطَانَةِ وَالْأَمِيرَيْنِ إِلَى جَدِّهِمَا مَلِكِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ وَسَأُوَدِّعُهُمْ إِلَى الْأَبَدِ . لِتَعُودَ إِلَيْكَ الْحَيَاةُ . .

وَفِي الْحَالِ عَادَتِ الْحَيَاةُ إِلَى الْوَزِيرِ الْمُخْلِصِ الْأَمِينِ . وَانْتَفَضَ وَاقِفًا أَمَامَ السُّلْطَانِ فِي إِجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ . وَقَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَامِلُ الْمُخْلِصِينَ



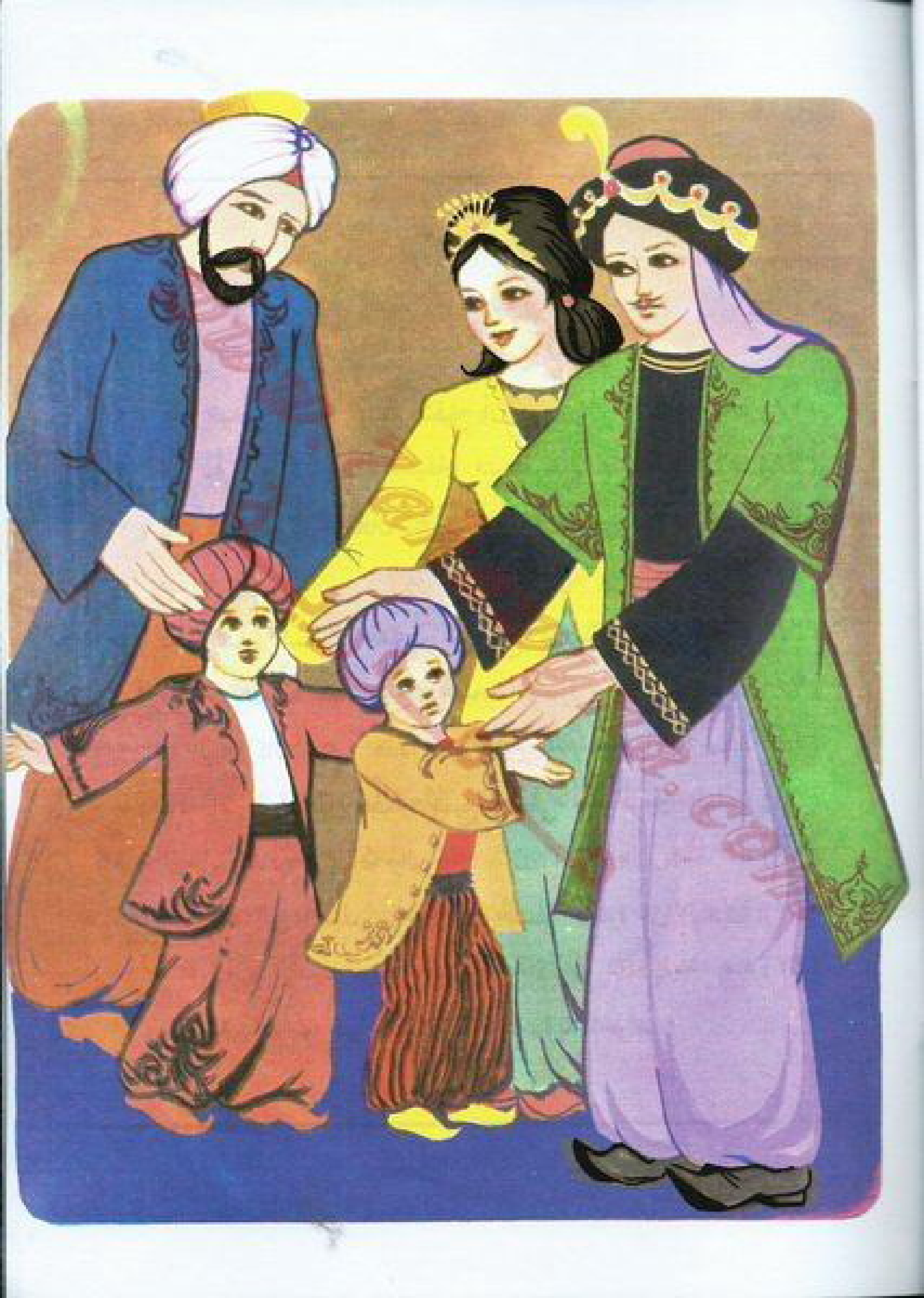
عَلَى حسبِ نِيَّتِهِمْ . وَإِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ . وَقَدْ نَوَيْتَ يا مَوْلاىَ أَنْ تَحْرِمَ مِنْ أَغْلَى وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ فى الوُجُودِ وَفاءً لِى . فَجَزاكَ اللهُ عَلَى نِيَّتِكَ بِأَنْ وَهَبَ لِى الحَياةَ ثانِيَةً دُونَ أَنْ يُكَلِّفَكَ اللهُ مَشَقَّةَ وَعَذابَ الحِرْمانِ وَالفِراقِ . .

ثُمَّ أَخَذَ الطِّفْلانِ يَلْعَبانِ حَوْلَ أَبِيهِما وَحَوْلَ الوَزِيرِ المُخْلِصِ . . كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَحْدُثْ مُطْلَقاً . .

فَسُرَّ السُّلْطانُ سُرُوراً عَظِيماً لِحَياةِ وَزِيرِهِ . وَقُرْبِهِ مِنْ طِفْلَيْهِ المَحْبُوبَيْنِ وَشَرِيكَةِ حَياتِهِ . .

وَحِينَما أَقْبَلَتِ السُّلْطانَةُ . . قَصَّ عَلَيْها السُّلْطانُ ما حَدَثَ . . فَدَهِشَتْ وَخَفَقَ قَلْبُها لِهَذا الكَلامِ العَجِيبِ . . وَبَكَتْ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ . .

ثُمَّ قالَ السُّلْطانُ : أَحْمَدُكَ يا رَبِّ حَمْداً كَثِيراً . وَأَشْكُرُ لَكَ شُكْراً جَزِيلاً لا نِهايَةَ لَهُ . فَقَدْ أَنْعَمْتَ بِالحَياةِ عَلَى وَزِيرِى الأَمِينِ . وَرَدَدْتَهُ إِلَيْنا . كَما أَنْعَمْتَ عَلَى بِقُرْبِى مِنْ أَغْلَى النَّاسِ وَأَحَبِّهِمْ إِلَىَّ . . وَعاشَ الجَمِيعُ مَعاً عِيشَةً سَعِيدَةً هانِئَةً ما بَقِىَ لَهُمْ مِنَ الحَياةِ فِى الدُّنْيا . .



أسئلة فى القصة

(١) بماذا أوصى السلطان وزيره قبل أن يموت ؟

(٢) هل وفَّى الوزير بوعده ؟

(٣) لماذا منع الوزيرُ السلطانَ الشابَّ من رؤية الحجرة التى علِّقت فيها صورة الأميرة ؟

(٤) لماذا صمم السلطان الشاب على فتح هذه الحجرة ؟

(٥) ماذا حدث له بعد أن رأى صورة الأميرة ؟

(٦) ما الذى كانت تحبه هذه الأميرة ؟

(٧) لماذا أمر السلطان بإحضار جميع صانعى الجواهر فى المملكة ؟

(٨) إلى أين سافر السلطان والوزير ؟

(٩) ما الحيلة التى احتال بها الوزير لإحضار الأميرة إلى السفينة ؟

(١٠) ماذا قالت الأميرة للوزير حينما رأت الأوانى الذهبية ؟

(١١) ما الذى حدث حينما شُغِلت الأميرة برؤية الجواهر ؟

(١٢) بماذا أحسَّت الأميرة حينما وجدت نفسها وسط البحر؟

(١٣) متى أظهر السلطان شخصيته الحقيقية للأميرة ؟

(١٤) كيف كان شعور الأميرة حينما عرفت الحقيقة ؟

(١٥) ماذا سمع الوزير من الغربان الثلاثة ؟

(١٦) ما الذى عرفه الوزير الأمين من أحاديثها ؟

(١٧) كيف أنقذ الوزير السلطانَ من الحصان المَسحور ومن الاحتراق ؟

(١٨) كيف أنقذَت السلطانة من الموت ؟

(١٩) ماذا حدث للسلطانة فى أثناء الاحتفال بزواجها ؟

(٢٠) لماذا سُجن الوزير الأمين ؟ وماذا حدث له حينما أطلِقَ سَراحه ؟

(٢١) كيف عادت الحياة إلى الوزير المخلص ؟

(٢٢) ضع عنواناً آخر لهذه القصة .